الطرق الداخلية في صحراء الملثمين خلال العصر الوسيط

Internal Routes in the Sahara of the Veiled People during the Medieval Period

د. محمدو ولد محمد فال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط – موريتانيا

د. محمد الأمين باريك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط – موريتانيا، mohamed_lemin@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2026/02/13 تاريخ القبول: 2026/04/01 تاريخ النشر: 2026/06/04

الملخص:

توفرت صحراء الملثمين خلال الفترة الوسيطة على شبكة طرق داخلية كثيفة، تولت أدوارا رئيسية في الربط بين مراكزها النشطة ومناطق تجمعات القبائل الكبيرة للانتجاع في الداخل، وبين المجموعتين ومراكز تجارية خارجية في أكثر من منطقة خارج الصحراء. في حين لعبت هذه الشبكة في المقابل وظائف تجارية هامة قادت إلى ازدهار مراكز الصحراء وزيادة مبادلاتها التجارية فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين المراكز التجارية الخارجية من جهة ثانية، وبما حول الصحراء من منطقة موحشة وحاجز قائم ضد تسهيل المبادلات بين ما يقع على جانبيها من مناطق، إلى منطقة ربط وثيق بين عدة مناطق، وإلى تحول بلاد الملثمين الى وسيط تجاري بين مناطق متعددة في المغرب العربي والمشرق الإسلامي وبلاد السودان.

ونسعى هنا لتسليط الضوء على أهم فروع هذه الشبكة الطرقية الصحراوية، وأبرز محاور التجارة الدولية التي ارتبطت بها فضلا عن الأدوار الاقتصادية التي اضطلعت بها في المجمل تلك الشبكة.

الكلمات المفتاحية: صحراء الملثمين – آوليل – أودغست – آزوكي – تادمكة – بلاد قمنورية.

Abstract:

During the medieval period, the Sahara of the veiled peoples possessed a dense network of internal roads that played a crucial role in connecting its active centers with the areas where large tribes congregate for migration in the interior, and between

these groups and external trading centers in several regions beyond the Sahara. This network, in turn, served vital commercial functions, leading to the prosperity of the Sahara's centers and increased trade both amongst themselves and with external trading centers. This transformed the Sahara from a desolate and impenetrable barrier to trade between the regions on either side into a vital link between several areas, and to the land of the veiled peoples as a commercial intermediary between various regions in North Africa, the Islamic East, and the lands of Sudan.

Here, we aim to highlight the most important branches of this Saharan road network, the major international trade routes associated with it, and the overall economic roles it played.

Keyworrds: Desert of the veiled ones – Awlil – Awdaghst – Azougui – Tadmekka – the land of Qamnouria.

تقديم:

بلغت صحراء الملثمين في العصر الوسيط درجة عالية من الثراء والرفاهية على المستويين الحضري والبدوي، حيث يرجع ذلك بالأساس إلى الدور النشط لسكانها في التجارة الصحراوية وعملها محطة عبور وسيطة (ترانزيت)، واستثمار مقدراتها بتوظيف مواردها في تنمية الحيوانات وخلق صناعات وتصدير منتجات إلى كل من منطقتي الشمال والجنوب.

وكما لعبت الطرق الخارجية بين الصحراء وجوارها في الشمال والجنوب دورا مهما في تنشيط الحركة الاقتصادية داخل صحراء المثلمين ورفع مستوى المبادلات بينها وبين المنطقتين الآنفتين، فقد لعبت الطرق الداخلية هي الأخرى دورا بالغ الأهمية في الربط بين مختلف الحواضر الصحراوية من جهة لتصريف ما يصلها من منتجات على أوسع نطاق بمنطقتها، وتوفير إمكانية التكامل الاقتصادي بينها هي الأخرى، مع ربط الشبكة الداخلية بمحاور التجارة الخارجية لتصدير منتجاتها وتكثيف التبادل التجاري مع المناطق الأخرى.

ويسعى هذا العمل إلى التعريف بتلك الطرق والدور الذي لعبته على مستويات الإنتاج والتصدير للمنتجات الداخلية والاستيراد والتصريف للمنتجات الخارجية.

1 – شبكة الطرق الداخلية:

اختصت الطرق الداخلية التي نشأت خلال الفترة الوسيطة بالربط بين الحواضر الرئيسية في صحراء الملثمين، حيث تمتاز بأن الحاضرة الواحدة يكون بينها والأخريات من الطرق ما يعكس أهميتها من حيث المادة الأولية والصناعات والمنتجات التي توفرها على مستوى الداخل.، وما تسهم فيه من مستوى لتصريف للبضائع المجلوبة إليها من المراكز الأخرى على شكل مواد أولية ومنتجات تقابل ثمن ما تسوقه وتحصل عليه على شكل بضائع.

وعلى العموم يمكن أن نميز في شبكة الطرق الداخلية للصحراء بين طرق ظهرت بهدف الربط الثنائي أو الجماعي بين مركزين أو عدة مراكز عدة تقع على مستوى أفقي أو عمودي أو تجمع بين الصيغتين، وبين طرق ظهرت لربط محور من شبكة الطرق الداخلية ومحور من محاور التجارة الخارجية مع المغرب الإسلامي ومصر وبلاد السودان.

وسنتوقف هنا مع بعض المراكز التي كان لها إسهام بارز في خلق شبكة الطرق الصحراوية الداخلية وذلك بفعل الربط الثنائي أو الجماعي بينها وبين شبكتها والمحاور التجارية الخارجية، حيث يتعلق الأمر بالمراكز التجارية التالية: آزوكي – آوليل – بلاد قمنورية – أودغست – تادمكة – تمبكتو.

– آزوكي:

يعتبرها الإدريسي ذات أهمية رئيسية في الربط بين مدن الصحراء والمدن الرئيسية في الشمال كسجلماسة ونول وفي السودان وبلاد التكرور، ذاكرا في هذا الإطار أنها تبقى تمثل المدخل إلى الصحراء وما ورائها من بلاد السودان بوصفها أنها (هي أول مراقي الصحراء...وأن من أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة من بلاد السودان فلا بد له من المرور إليها من هذه المدينة)، محددا المسافة بينها وبين نول[1] بسبع مراحل، والمسافة بينها وبين سجلماسة بثلاث عشرة مرحلة ومنها نول سبع مراحل[2]

– مركز آوليل:

يرتبط هذا المركز التجاري القائم على تصدير الملح إلى السودان بعدة مدن في صحراء المرابطين وبأخرى في خارجها، حيث يتعلق الأمر في الداخل بأزوكى الذي يقدر الإدريسي المسافة بينه وبين آوليل بخمس وعشرون مرحلة تتزود خلالها القافلة بالماء

[1] – وصفها الادريسي بأنها كبيرة عامرة بسكانها من قبائل لمتونة ولمطة، فيما تقضي حوائجها منها قبائل عديدة أبرزها مسوفة ووشان تمالتة وبنو منصور وتمية وجدالة وبنو إبراهيم وبنو تاشفين وبنو محمد وجمل من صنهاجة، واعتبر أنها مركز صناعة للدرق اللمطية و السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل، ومركز بيع للأكسية المسماة بالسفسارية والبرانس التي يساوي الزوج منها خمسين دينارا، فيما ذكر كثرة البقر والغنم عند أهلها، كثرة الألبان والسمن عندهم. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودى، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص98

[2] – الإدريسي، نزهة المشتاق، صص 98 – 99

من يومين إلى أربعة إلى خمسة وستة أيام [1]، في حين يتميز مركز آوليل بطرق فرعية تربطها بمعظم مدن السودان في مناطق التكرور وغانة وونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان[2].

– بلاد قمنورية:

ذكر الإدريسي اتصالها من ناحية الغرب بالبحر المظلم، وبالشرق بصحراء نيسر حيث يشدد على ازدهارها في الماضي بما كان فيها من مدن مشهورة وقواعد مذكورة، أهمها مدينتان عامرتان اسم إحداهما قمنورى واسم الأخرى نغيرا تعجان السكان (أمم من القمنورية وبشر كثير)[3].

أما من حيث الطرق بينها وبين المراكز الصحراوية فقد كان يوجد طريق يربط بلاد قمنورية مع مدينة آزوكي طوله اثنتا عشرة مرحلة، والذي يتميز بقلة الماء الذي لا يتحصل عليه المسافرون إلا بحفر يحتفرونها للحصول عليه أثناء الانتقال عبره من جهة إلى جهة.

كما يذكر الإدريسي أيضا وجود عدد من الطرق والمسالك في الماضي بين بلاد قمنورية ومدن سلى وتكرور وهو معطى يفيد بأهمية المبادلات التجارية القائمة بين الطرفين أثناء فترة استخدام تلك الطرق والمسالك، والتي يشير صاحب نزهة المشتاق إلى استمرار اتخاذها من قبل القوافل إلى حقبة متأخرة وذلك بالرغم من بعض الصعوبات التي تعترض سالكيها ومن أبرزها اندراس تلك المسالك وصعوبة تمييز العلامات المرصودة لتحديد اتجاهها إلا على المتمرسين من الأدلة، مع شبه انعدام الماء بها لوجوده على عمق كبير حيث يقول بهذا الخصوص (وبين بلاد قمنورية وبلد سلى وتكرور طرق مجهولة الآثار دارسة المسالك قليلة السالك ماؤها غائر وعلامتها خفية).

وفيما يقدر الإدريسي المسافة بين مدينة قمنورية وكلا من سلى وتكرور بستة عشر يوما، يعود ليقدر المسافة بين مدينة نغيرا ومدينة سلى بنحو اثني عشر يوما[4].

– أودغست:

يقدر الادريسي المسافة بين أودغست وبعض المدن الصحراوية حيث يذكر أن المسافة بينها وبين جزيرة اوليل معدن الملح شهر واحد، والمسافة بينها وبين مدينة القندهار التي تقع غربها أربع مراحل، فيما تصل المسافة بينها ومدينة الملتان أربع مراحل أيضا.

[1]– الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 99

[2]– نفس الصفحة

[3] – نفس الصفحة

[4] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص86

كما يقدر الادريسي المسافة بين أودغست وبعض المدن الخارجية فيذكر أن زويلة تبعد منها شمالا عشر مراحل، ومدينة السندور ثلاث مراحل[1]. فيما تبلغ المسافة بين منها مدينة بريسى غربا اثنتا عشرة مرحلة، ومدينة غانة جنوبا اثنتي عشرة مرحلة.

– تادمكة:

اشتهرت مدينة تادمكة خلال الفترة الوسيطة كمركز تجاري متميز[2]، ومحطة رئيسية للقوافل القادمة من مصر والمغرب والسودان[3] يكثر به الوكلاء والأدلاء لمساعدة التجار القادمين من خارجها[4]. حيث بلغت أوج ازدهارها في الفترة ما بين القرن الثالث والقرن السادس للهجرة. وذلك قبل أن تتأثر بالغزو المرابطي لها في العام 476هـ / 1083م[5]. كما اعتبرت لجمال عمرانها أحسن بناء من عدة مدن مزدهرة في بلاد السودان أهمها غانة وكوكو(جاو) [6].

وفي مقابل شبكة الطرق الكثيفة التي كانت تربط تادمكة بمن خلال عدد من المحاور[7] بعديد المراكز التجارية الخارجية وأبرزها ورجلة[8] — سجلماسة – برقة — غدامس— القيروان – الاسكندرية[9]– كوكو– غانة –كاغو – ونسلا[10]، وجدت شبكة طرق داخلية ربط بين تادمكة والعديد من المراكز الصحراوية مثل أودغست وآزوكي وآوليل وولاته التي كانت تستفيد من عرض بضائعها في أسواقها[11]، ولتجلب منها السلع المعروضة فيها من إنتاج محلي أو المستوردة إليها من المدن الصحراوية الأخرى وأبرزها النحاس والجريد والملح والجلود وحجر الشب وحجر تاسي النسمت، أو من الشمال الإفريقي ومصر وأهمها الثياب

[1] – نفس الصفحة

[2] – مجهول، خبر السوق، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003، ص4

[3] – البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص880

[4] – زبادية، عبد القادر، مملكة السنغاي في العهدين الأسبقيين 1493 -1593، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص212

[5] – الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص165

[6] – البكري: المسالك والممالك، ص880

[7] – أبرز هذه المحاور: المحور الذي كان يربطها بالقيروان مرورا بفزان ووجلة، والمحور الذي يربطها بالإسكندرية مرورا بغدامس. والمحور الذي يربط من خلالها بين مصر – عبر واحة سيزة وزويلة – وبين تنبكتو من جهة ثانية، والمحور الذي يربط من خلالها بين تاهرت في الشمال وبين غاو في أقصى الجنوب.

[8] – ابن سعيد المغربي، أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق سماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص115

[9] – الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مطابع هيد لبوغ، بيروت، ط2، 1984، ص145

[10] – ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص115

[11] – البكري، المسالك والممالك، ص880

والحبوب والفخار المغربي والبخور، أو من بلاد السودان وأبرزها الرقيق الذهب والحبوب والعاج[1]. وبما جعل تادمكة تشتهر لوفرة وتنوع البضائع بها باسم (السوق) حيث كان يعرض بها ويأتى إليها بكل شيئ يباع ويشترى[2].

– تمبكتو:

برزت تمبكتو بدايات القرن 12 الميلادي[3] كمدينة كبيرة بفعل اتخاذ القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب الإسلامي إلى السودان الغربي منها محطة نهائية لها[4]. وهو معطى ساهم في جعلها تدريجيا ملتقى لطرق القوافل التجارية القادمة إليها (أو المنصرفة منها) من مدن المغرب الإسلامي ومصر والسودان الغربي[5]. وبما ترتب عليه وجود طرق كثيفة تربط تمبكتو بأهم المراكز التجارية في مجمل تلك المناطق، وبمختلف المراكز التجارية الصحراوية.

وتتحدث المصادر في هذا الإطار عن استخدام شبكة الطرق الصحراوية في تصدر الذهب بكثرة من تمبكتو[6]، وجلب مادة الملح إليها من تغازة وكدية الجل وآوليل لتسويقها إلى مجمل المراكز التجارية السودانية الكبرى والصغرى [7]. كما تورد تقديرا للمسافة بين عدد من المراكز الأخرى المرتبطة بهذه المدينة، حيث تقدر المسافة بين وادان وتيشيت بمسيرة سبعة أيام، وبين هذه الأخيرة ومدينة وولاتة المرتبطة بصلات تجارية وثيقة مع تمبكتو بثمانية أيام[8].

2 – محطات الربط بمحاور طرق التجارة الدولية:

وجدت عدة محطات لربط شبكة الطرق الداخلية التي تحدثنا عنها بمحاور طرق التجارة الدولية وذلك عن طريق مجموعة من المراكز الصحراوية، ففي حين أسهمت كل من آزوكي وأوليل وبلاد قمنورية في ربط المحاور الشمالية والجنوبية لطرق التجارة الدولية بتلك الشبكة الداخلية، تولت مدن مثل تادمكة وأودغست مهمة الربط بين بعض المحاور في الشمال والشرق، في مقابل قيام أودغست وتنبكتو ومعهما أوليل بمهمة أوسع بربط المحاور في الشمال والجنوب معا، حيث يمكننا في هذا الإطار الحديث عن ثلاث محاور طرق دولية تمثل امتدادا للطرق الصحراوية إحداها قادمة من جهة مصر إلى مراكز الصحراء، فيما

[1] – البكري، المسالك والممالك، ص880، دوبلال، محمد، وبلبالي، محمد، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، من القر1 – 7هـ/ 10 – 17م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة آدرار، 2020 – 2021م، ص42

[2] – البكري، المسالك والممالك، ص880

[3] – أماهين، الطوارق عبر العصور، 2007، ص 120

[4] – السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، طبعة برجين، 1898، ص21

[5] – نفس الصفحة

[6] - Fernandes. Valentim. (1938). Description de la Cote d'Afrique de Ceuta au Senegal (1506-1507). texte portugais, traduction et notes de Pierre de Cenival et Theodore Monod. Librairie Larose. Paris, PP.84-85

[7] - CUOQ. Joseph. (1984). Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest des origines jusqu' la fin du XVIe siècle. Librairie Orientaliste. Paris. p. 7

[8] -Fernandes, Description de la Cote d'Afrique de Ceuta au Senegal (1506-1507), op.cit , PP.84-85

الثانية من الشبكات قادمة من المغرب الإسلامي ، وذلك مقابل شبكة ثالثة تربط مراكز الصحراء بأهم المراكز التجارية السودانية.

ويلاحظ أن المدينة الصحراوية الواحدة يكون ربطها للشبكة الداخلية بأحد المحاور الدولية من طرف واحد يوصل إليها وينتهي عندها، أو من طرفين من خلال توفير مهمة الربط في اتجاه مقابل مع محور ثان يصل إليها، في معطى يتحكم فيه بالأساس مستوى الاهمية التي تحظى بها المادة الأولية التي توفرها تلك المدينة على مستوى الخارج، أو حجم ما توفره من سوق وتصريف لمادة او بضاعة خارجية على مستواها أو مستوى المراكز الصحراوية المرتبطة بها بأقسامها الحضرية والبدوية.

وهكذا عادة ما نكون أمام نوعيات مختلفة من محاور الربط بين الشبكة الداخلية والخارجية يختلف في عدد المدن الداخلية والخارجية المشمولة به، حيث يوجد نوع يكتفي بتأمين الربط في اتجاه واحد بين مركز تجاري صحراوي أو أكثر ومحاور تجاري، ونوع يقوم بالربط بين المركز التجاري نفسه أو غيره بمحور أو أكثر في اتجاهين متقابلين حيث يتوسط المركز بموجب ذلك عملية الربط بين محاور للطرق التجارية الإقليمية والدولية نهاياتها الطرفية مراكز خارجية، تسهم مبادلاتها التجارية في تلبية حاجات كل منطقة على حدة، عبر توزيع ما تنقله الطرق الداخلية من سلع داخلها أو إلى المنطقة المقابلة لنظيرتها على الضفة الثانية للصحراء[1].

وعلى العموم يمكن تناول المحاور التجارية الخارجية التي ارتبطت بشبكة الطرق الصحراوية الداخلية من خلال الجهات، وذلك بتقسيم تلك المحاور بين محاور للربط مع المغرب الإسلامي –محاور للربط مع المشرق الإسلامي – محاور للربط مع بلاد السواد.

أ – محاور الربط مع المغرب الإسلامي:

✓ محور الطريق الساحلي:

ارتبط مركز آوليل بمحور بالغ الأهمية للتجارة عرف ب الطريق الساحلي الغربي، والذي كان ينطلق من نول لمطة بطول 1600 كلم [2] حيث يمر بمحاذاة المحيط الأطلسي في اتجاه مملحة آوليل الواقعة على بعد 10 كلم من المحيط الأطلسي بالقرب من مركز تكند الإداري بموريتانيا[3]، وبعد محطة آوليل يتفرع هذا الطريق إلى فرعين أحدهما يسير في اتجاه الجنوب

[1] - Ki- Zerbo, Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain, Hatier. Paris, 1972, p165.

[2] - EL ALAWI, LE MAGHRIB ET LE COMMERCE TRANSSAHARIEN, op.cit, P56

[3] - MAUNY, Raymond, Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen-Âge ،d'après les sources écrites ،la tradition et l'archéologie ،Mémoire de l'IFAN ،N61، Dakar ،1961., p. 427

الشرقي في اتجاه أودغست في يتابع الفرع الثاني في اتجاه الجنوب مباشرة في اتجاه نحو مملكة التكرور ومملكة غانة وما وراءهما من ممالك الزنوج[1].

وكانت القوافل تقطع الطريق بين نول لمطه – آوليل – أودغست خلال فترة تستغرق شهرين من السير[2] مقابل فترة شهر تقطع فيها المحطة الأخيرة بين آوليل وأودغست[3].،

وتعود أهمية هذا الطريق إلى ربطه بصفة غير مباشرة بين كل من أودغست وبلاد التكرور الغنيتين بالذهب عبر آوليل من جهة وبين ربطهما وشمال إفريقيا من جهة أخرى[4]، وكذا إلى استفادته من تجارة الملح الواسعة بين آوليل التي هي من أبرز محطاته وبين مجمل ممالك السودان من جهة ثانية[65].

- ✓ **محور تامدلت – آزوكي أودغست:** مثلت مدينة آزوكي محطة لربط الصحراء بهذا المحور، فإلى جانب مرورها منها في اتجاهه الرئيسي نحو أودغست[7] التي يصلها بعد خمسين مرحلة[8]، حيث كانت المدينة تتولى تصريف التجارة القادمة منه نحو آوليل ومدن بلاد قمورية ومدن بلاد التكرور بفعل شبكة الطرق الداخلية التي تربطها بها، فيما كانت القوافل تعود في الاتجاه المعاكس منه إلى تامدلت لتوزع تجارتها بين المدن التي تغذيه بالقوافل وأبرزها درعة وإيغلى وأغمات والبصرة وسجلماسة[9]..

وهناك من يرى أن مدينة أودغست اكتسبت ثراءها من هذا الطريق والذي مثلت بموجبه محطة تبادلات بين مناطق الشمال وبلاد السودان[10] وذلك قبل أن تتطور لتغدو سوقا مفتوحة على كل المناطق يمكن الوصول اليها من جميع الجهات لكثرة القوافل التي تقصدها حيث (السفر متصل اليها من كل بلد)[11]. في حين يعتبر باحثون آخرون أن غزو المرابطين لأودغست

[1] – ابن حوقل، ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص81.

[2]- MAUNY, Tableau géographique, op.cit., p. 428

[3] – ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص91

[4]– البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ج2، صص 877 – 874

[5] - EL ALAWI, LE MAGHRIB ET LE COMMERCE TRANSSAHARIEN, op.cit., p. 56

[6] – الإدريسي، المسالك والممالك، مصدر سابق، ج2، ص 32

[7] – يرى موني بأن هذا الطريق ضارب في القدم حيث يعود استخدامه لفترات سابقة على الميلاد

R. MAUNY: Tableau géographique, op.cit., p. 128

[8]– اليعقوبي، أحمد بن احمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1957، ص111

[9] - R. MAUNY: Tableau géographique, op.cit., p. 128-

[10] – اليعقوبي، البلدان، مصدر سابق، ص199

[11] – أبو الفداء، تقويم الأقاليم، دار صادر بيروت، د ت، ص121

سنة 1056م قد قلص إلى حد كبير من استخدام القوافل لطريق تامدلت – أودغست [1] وذلك بفعل انتقال أغلب المبادلات التجارية التي كانت تقع عليه إلى طريق: درعة– الصحراء –غانة[2].

✓ محور وادي درعه– مدوكن– غانة:

مثلت مدينة مدوكن محطة الربط الرئيسية بين الصحراء وهذا المحور الذي كان يقطع الصحراء رابطا بين وادي درعة وغانة عبر المرور بمدينة مدوكن. حيث كان طول هذا المحور يتراوح بين 41-51 يوما.[3] وكانت قبيلة مسوفة تسيطر على هذا الطريق[4] لوجوده ضمن مجالها الجغرافي الممتد ما بين تندوف شمالا وتنبكتو جنوبا حيث يقع في الجزء الشرقي من صحراء الملثمين[5]، فيما كان يمر كذلك على مملحة تغازة التي عززت من حيوية الطريق من استخدامها لهذا الطريق لنقل الملح منها إلى بلاد السودان، حيث يذكر البكري بهذا الخصوص أن العمل في الملح بمملحة تغازة (متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة)[6].

في حين ظلت من أبرز المشاكل التي طرحت لمستخدمي طريق درعة – غانة مشكل الماء لخلو غالبية مساره من آبار تتزود منها القوافل والمسافرون بالماء خصوصا منطقة كثبان رملية "المجابة الكبرى" قدرت بـ550 كلم والتي تقطع خلال ثمانية أيام كاملة[7]، قبل الوصول إلى قرية مدوكن الصنهاجية آخر مراحله في الصحراء والتي لا تبعد عن مدينة غانة – محطته النهائية – غير أربعة أيام[8].

ب – محاور الربط مع المشرق:

✓ محور مصر – القيروان –أودغست:

مثلت أودغست محطة للربط بين محور بالغ الأهمية للتجارة عرف بمحور مصر – القيروان –أودغست يتميز بالطول حيث تقدر مسافته فب مجملها بمائة مرحلة وعشر مراحل [9]. حيث كان يزود أودغست بالسلع المجلوبة من مصر والقيروان والتي كانت تتولى تصريفها لساكنة الصحراء أو غانة القريبة منها وما بعدها من مراكز تجارية بالسودان. [1]

[1] - DELACHAPPELLE. Author. (1930). "Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale" in Héspéris Tamuda, TXI, Rabat, p. 64

[2] – ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن ق 2هـ 8م إلى نهاية ق 5 هـ/11م، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص168

[3] - EL ALAWI, LE MAGHRIB ET LE COMMERCE TRANSSAHARIEN, op . cit, p. 50

[4] – ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص.98

[5] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سابق، ص 167

[6] – البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857، ص: .171

[7] - R. MAUNY: Tableau géographique, op.cit, p. 430

[8]– البكري، المغرب، مصدر سابق، ص164.

[9] – نفس المصدر، ص:158

و يرى بعض الباحثين أن ظروفا مستجدة أدت إلى ترك غالبية القوافل القادمة من مصر لاستخدام الطريق منها إلى أودغست عبر القيروان وسجلماسة، وهي الظروف المتمثلة في توتر علاقة مصر بالدولة الزيرية من جهة، وفي تعرض بني هلال للقوافل بالسلب والنهب بعد هجرتهم من صعيد مصر وانتشارهم على طول الساحل في اتجاه المغرب الأقصى من جهة ثانية[2]. حيث نتج عن كل ذلك تحول القوافل المتجهة من مصر الى الصحراء والسودان إلى استخدام طريق منافس أكثر أمانا يتمثل في طريق مصر- واحات أوجلة وسيوه – تادمكة – غانة[3].

✓ محور مصر – القيروان – تادمكة:

مثلت محطة تادمكة صلة ربط هذا المحور ببلاد الملثمين، حيث تميز بالحركية والنشاط بربطه بين مصر وتادمكة عن طريق يمر بكل من القيروان وقسطينية وورجلان لتصل القافلة المسافرة عبره إلى تادمكة بعد مرور 51 يوما على انطلاقها من القيروان[4].

فيما تتحدث المصادر الوسيطة عن محور موازي يربط بين مصر وتادمكة عبر مدينة زويلة، أسهم في تصريف البضائع المجلوبة من قبله الى مراكز الصحراء[5] ومدن بلاد السودان من خلال مرحلة ثانية تتابع فيها القوافل السير من تادمكة نحوها[6] وصولا إلى جاو وتمبكتو اللتين كانتا تمثلان أهم معاقل المبادلات التجارية في تلك البلاد[7].

ويلاحظ الباحثون أن طريق مصر – زويلة – تادمكة[8] قد استفاد من القلاقل الأمنية التي اضطرت القوافل للإحجام عن سلوك طريق مصر – القيروان – أودغست بسبب ما كانت تقوم به قبائل بني هلال المنتشرة على طول الساحل بين مصر والمغرب الأقصى من سلب ونهب لها[9].

---

[1] – جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980 ، ص219

[2] – نفس الصفحة

[3] – الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص75.

[4] – دوبلال، محمد، وبلبالي، محمد، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، مرجع سابق، ص36

[5] – عبد القادر، زبادية، الحضارة العرب ية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزا ئر، 1989م، ص30.

[6] – دوبلال، وبلبالي، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، مرجع سابق، ص39

[7] – عبد القادر، مملكة صونغاي في عهد الأسكيين 1493 – 1592م، مرجع سابق، ص214

[8] – نفس المرجع، ص 3.

[9] – جواتين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، مرجع سابق، ص219

✓ **محور مصر – ولاته:**

اشتهر هذا المحور الذي ربط بين الصحراء ومصر عن طريق محطة ولاته ب(درب الأربعين)[1] حيث اعتبره بعض الباحثين من بين الطرق الأكثر ارتيادا محددين مساره بالانطلاق من مدينة القاهرة في اتجاه منطقة دارفور ببلاد السودان الشرقي[2] قبل أن يتجه بعد ذلك من فزان[3] –مخترقا الصحراء – في اتجاه مدينة ولاتة[4].

ويلاحظ أن محور مصر – ولاته يظل طريقا حديثا نسبيا حيث لم تتجه القوافل لاستخدامه إلا بداية من أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي10هـ-16م، وذلك بعد سقوط المملكة النوبية[5]، وكذا بعد أن وصلت مدينة ولاته إلى مستوى كبير من الازدهار تحدث عنه ابن بطوطة عند زيارته لها حيث تحدث عن مظاهر تأثير علاقاتها التجارية مع مصر[6].

ج – محاور الربط مع بلاد السودان:

✓ **محور التكرور – آزوكي – سجلماسة:**

مثلت كل من أوليل وآزوكي وأودغست وتادمكة وولاته محطات لربط حواضر السوادان بالصحراء، حيث يحدثنا الادريسي عن طريق بين بلاد التكرور ومدينة آزوكي يربط بين مدن التكرور وصنغانة وسلى وبريسي وبين آزوكي، وذلك مقابل محور مباشر يربط بين كل من التكرور وسلي بهذه المدينة[7] منطلقا منها بعد ذلك نحو مدينة سجلماسة التي هي على بعد أربعين يوما من المدينيتن[8].

✓ **محور التكرور – آوليل – سجلماسة:**

ذكر الادريسي هذه المحور الذي يربط بلاد التكرور بسجلماسة عبر آوليل، متحدثا في هذا الإطار عن طرق فرعية بعضها بحري وبعضها بري تربط هذا المركز بمعظم مدن السودان، حيث تحمل منه المراكب الملح في البحر إلى مدن سلى وتكرور وبريسى، فيما تحمل منه القوافل إلى غانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان[9].

---

[1] - KI- ZERBO Joseph: Op. Cit, P: 168.

[2] - Ibidem

[3] – الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج1 ، ص33

[4] – محمد، عطلي، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع6، أكتوبر 2017، ص250

[5] – الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج1 ،ص 33

[6] – المصدر السابق، ص661

[7] – الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص33 – 34 – 87

[8] – نفس المصدر، ص33

[9] – نفس الصفحة

ويقدر الإدريسي طول الطريق بين مدينة سلي ومركز أوليل بست عشرة مرحلة، فيما يقدر المسافة بين سلي ومدينة التكرور وسجلماسة بأربعين يوما[1].

✓ **محور نياني – ولاتة – تغازة:**

وجد محور يربط بين بلاد لملم (مالي) وبلاد الصحراء عن طريق محطة ولاته، حيث كانت القوافل تنطلق عبره من مدينة نياني لتمر من بلد أرسو وتصل مدينة زاغري (ديورة)، قبل مواصلة الطريق إلى ولاته المحطة الثالثة على هذه الطريق[2].والتي تخرج منها القوافل إلى الشمال نحو تغازة التي كانت بلاد لملم تستورد منها كميات معتبرة من الملح. فيما كان يمكن للقوافل أن تواصل المسير نحو الشمال عبر ثلاث طرق مكملة لطريق (نياني – تغازة) والتي توصل إلى إحدى المدن: تلمسان أوفاس أووهران[3].

✓ **محور غانة – أودغست:**

ارتبطت بلاد غانة بمحور تجاري يربط مدنها بالصحراء من خلال محطة أودغست، حيث كان يستغرق سير القافلة المتجهة عبره من عاصمة البلاد غانا إلى أودغست خمسة عشر يوما.[4] وتسببت المبادلات عن طريق هذا المحور في غنى وازدهار أودغست من العلاقة مع غانة التي كانت (أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا)[5].وبما جعلها (من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمرا)[6].

فيما كانت غانة تستورد عبر أودغست عن طريق هذا المحور سلعا كثير امتلأت بها أسواقها من أهمها الودع والملح والنحاس والفواكه المجففة والقمح والعنبر والشعير[7]، إلى جانب الملابس والعمائم والمسابح وأدوات الزينة واللؤلؤ والعطور[8]. وذلك في مقابل تأمين مدينة غانة لأدوغست سوقا رائجة للسلع السودانية في مقدمتها الذهب والرقيق، مع الارتباط من خلال هذا

[1]– نفس الصفحة

[2] – محمد، الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاه، الكويت، 1982، ج1، ص 458

[3] – فخار، إبراهيم، حولية المؤرخ، دار الكرامة للطباعة والنشر، ع5، جوان2005، صص 84 – 85

[4]– البكري، المغرب، مصدر سابق، ص175

[5] – الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص38

[6] – ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1973، مج6، ص 412

[7] – محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2014، صص 136 – 145

[8] – السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص78

المحور بعدد من المدن والقرى السودانية[1] يجمع بينها وبين غانة بشبكة كثيفة من الطرق الممتدة خلال بلاد السودان في أكثر من اتجاه[2].

✓ **محور غانة – بوغرات – تادمكة:**

ارتبطت مراكز الصحراء كذلك ببلاد غانة عن طريق محطة تادمكة التي أمنت ربط متبادلا بينهما من جهة، وبين كل منهما – من خلال الأخرى – مع المراكز التجارية التي تقع شمال تادمكة مثل مصر والقيروان وسجلماسة وبرقة وغدامس، وكذا في جنوب غانة من قبيل تيرقي وتوتك وكوكو من جهة ثانية[3].

وكانت المسافة التي تقطعها القوافل المنطلقة من العاصمة غانا إلى تادمكة، بخمسين يوما تمر خلالها بالمدن التالية: سفنقو – تادمكرة – بوغرات – تيرقي وذلك قبل أن تصل أخيرا إلى تادمكة [4].

✓ **محور غاو – تادمكه:**

جمعت علاقات تجارية وثيقة بلاد كوكو وحواضر الصحراء، وذلك من خلال محطتي تادمكة وتمبكتو، حيث يعتبر محور غاو – تادمكة – ورقلة من أنشط وأقدم المسالك المؤدية من والى السودان[5]. فيما مثلت تادمكة كذلك محطة لتفرع الطريق القادمة من غاوو إلى فرعين نشطا في جلب وتصريف السلع والمنتجات من و إلى الصحراء والسودان خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين المقابلين للقرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين[6]: وذلك عبر المحورين التاليين:

- **محور غاو في اتجاه مصر:** يذهب من غاو في اتجاه تادمكة التي يخرج منها نحو غات ثم برقة وبعدها مصر، و في بعض الأحيان كان يتخذ هذا المحور من تنبكتو منطلقا له حيث يمر منها في اتجاه الشمال إلى غاو، ليصل بعد ذلك إلى مدينة تادمكة ويغير اتجاهه عندها كما في السابق إلى جهة الشرق ميمما جهة مصر مارا بمدينة زويلة وبعدها بواحة سيوة[7].

[1] – يذكر البكري من أهم هذه المدن: سامقندي و طاقة وازقوا ومدينة غياروا الغنية بالذهب والتي تبعد من غانة مسيرة ثمانية عشر يوما من السير، البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880

[2] – البكري، المغرب، مصدر سابق، ص178 -179

[3] – البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص880

[4] – دوبلال، وبلبالي، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، مرجع سابق، ص38

[5] – كركار، الروابط الاقتصادية بين ضفتي الصحراء، الروابط االقتصادية بين ضفتي الصح اره الكبرى ودور اليهود في النشاط التجاري أواخر العصر الوسيط، مجلة الباحث في العلوم إلنسانية واالجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، العدد7 ،2016، ص3

[6] – دوبلال، وبلبالي، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، مرجع سابق، ص41

[7] – الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص 312

- محور غاو في اتجاه حوض البحر الأبيض المتوسط: حيث ينطلق هذا المحور من غاو ليصل إلى تادمكة، ثم يواصل إلى غدامس ثرقم ورقة فإفريقية[1].

3 – الدور الاقتصادي للطرق الداخلية:

اضطلعت شبكة الطرق الصحراوية الداخلية بمجموعة من الأدوار والوظائف الاقتصادية الهامة يبقى في طليعتها، ما أسهمت به من دعم في إنتاج المنتجات الصحراوية وتصديرها، وما لعبته من أدوار في مجال تصريف المنتجات الخارجية على أوسع نطاق في عموم الصحراء.

أ – دورها في تصدير المنتجات الصحراوية:

حفلت صحراء الملثمين بمراكز تجارية أمنت قاعدة منظمة لتبادل السلع والخدمات المتنوعة مع المناطق الواقعة على امتداد الشمال الإفريقي[2] ومع بلاد السودان الواقعة إلى الجنوب منها. حيث شمل هذا التبادل مواد ومنتجات محلية مخصصة للاستخدام الداخلي وأخرى تم استيرادها بهدف إعادة تصديرها أو تمثل فائضا عن حاجة سكانها.

ويلاحظ تنوع منتجات ومواد الصحراء حيث شملت مواد نباتية أهمها الحناء والصمغ والتمور والحنطة والقمح والحناء، ومنتجات معدنية أو ما شابهها يبقى أبرزها الذهب والملح والأحجار الكريمة، بالإضافة إلى منتجات أخرى من بينها العنبر والجلود المرتبطة بتربية الملثمين للحيوانات من إبل وغنم، وضأن وبقر بكميات أقل للاستفادة من منتجاتها، وممارسة الصيد البري لمجموعة متنوعة من الحيوانات ذكرت المصادر الوسيطة منها: اللمط – الرمك – الفنك- اللبطي– والزرافة.

وقد مثل استخراج الملح والمتاجرة به مع حواضر بلاد السودان تجارة رابحة لأهل الصحراء التي توفرت على عدة ممالح كان الطلب عليها كبيرا في السودان منذ بداية تعمير المنطقة[3]، والتي كان الملثمون يبيعونه لأهلها بأثمان غالية [4] بسبب الإقبال الكبير على استخدامه في عديد الأغراض من قبيل طقوس العبادة خاصة في تقديم القرابين، وإشباع حاجات نفسية نتيجة

[1] – نفس الصفحة

[2] – كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان، القاهرة، 1961،1961، صص200- 204

[3] – الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى، بيروت 1981م، ج5، ص131

[4] – بن علي، حليمة، وعبداوي، صفية، مناجم الملح في الصحراء ودورها في ازدهار تجارة الحواضر"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة أدرار، الجزائر، 2019 – 2020، ص19/ وولد الحسين، الناني. صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن ق 2هـ 8م إلى نهاية ق 5 هـ/11م، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص52

إدمان الزنوج في الفترة الوسيطة على وضع الملح فوق شفاههم واعتقادهم بسقوط أسنانهم إذا كفوا عن استخدامه[1]، وذلك فضلا عن توظيفه لحفظ اللحوم والأسماك في الجو الحار[2] .

وتحدثنا المصادر الوسيطة عن استخدام الطرق الداخلية والمحاور المرتبطة بها خارجيا لتسويق الملح من مصادر إنتاجه في (حصن الملح) الذي يبعد من آزوكي سبعة أيام[3] والذي يعتقد أنه مملحة الجل الحالية[4]، ومملحة آوليل التي ذكر الإدريسي أن الملح يحمل منها إلى جميع بلاد السودان[5]، ومملحة تغازة التي كان جل إنتاجها من الملح ينقل إلى منطقة حوض النيجر وأهم مناطق إنتاج الذهب الواقعة على مقربة من الغابات الإستوائية فتحصل منه (القناطير المقنطرة من الذهب)[6]، في حين يوجه الباقي من إنتاج تلك المملحة إلى أسواق المغرب[7]. فيما ينقل الملح المستخرج بدوره من مملحة آوليل على شكل ألواح[8] إلى الممالك السودانية في حوض نهر السنغال[9]. وكذا إلى أودغست لنقله منها في اتجاه مملكة غانة وبقية ممالك النيجر السودانية[10].

وبالإضافة إلى الملح اشتهرت صحراء الملثمين – وبدرجة أقل من ممالك في بلاد السودان مثل غانة والتكرور[11]– بإنتاج وتصدير الذهب، فيما كان هذا المعدن النفيس أيضا أساس مبادلات صحراء الملثمين عبر شبكتها الداخلية ومن خلال المحاور الطرقية الخارجية المرتبطة بها مع كل من بلاد السودان والشمال الإفريقي، وفي هذا الإطار اشتهرت أودغست بجودة الذهب[12] حيث كان سكانها يشترون به على هيئة خيوط مفتولة السلع المجلوبة من المغرب ومصر من قبيل الأقمشة والحبوب والتمور والزيت[13]، كما كان يتم تصديره وبيعه من قبل الملثمين على نفس الهيئة إلى الشمال الإفريقي[14] حيث يتولى الصيارفة فى

[1] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص274

[2] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص34

[3] – ابن سعيد، الجغرافيا، ص113

[4] – ذهب باحثون إلى أن مملحة الجل الواقعة في الشمال الموريتاني يعود تاريخ استغلالها الى نفس الفترة التي راج بها ملح كل من تغازة وآوليل. راجع: ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص266

[5] – الإدريسي، مزهة المشتاق، ص 31و32

[6] – ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، د ت، ص69

[7] – البكري، المسالك والممالك، ص111

[8] – البكري، المغرب، ص171

[9] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص273

[10] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص98

[11]– البكري، المسالك والممالك، ج2، صص 877 – 874

[12] – البكري، المغرب، ص 159

[13]– البكري، المسالك والممالك، ج2، صص 848- 850

[14] – نفس المصدر، ج2، ص159

ورشات خاصة العمل على سكه في شكل عملة يتاجر بها[1]، فيما كان يعمل على تصدير الفائض منه إلى المشرق الإسلامي[2]،مناطق مختلفة تضم المغرب و لأندلس وعبرهما إلى أوربا[3].

ومن بين ما اشتهر الملثمون بإنتاجه من مواد الصمغ العربي، وذلك بهدف تصديره إلى المغرب والأندلس حيث كان الطلب كبيرا على هذه المادة لاستخدامها في صباغة النسيج بهدف تلميع وصقل الأقمشة (وبالأخص الديباج)[4] وذلك بعد الفراغ من حياكتها وصباغتها[5]. حيث تمثلت أبرز مناطق إنتاج الصمغ في المنطقة الغربية القريبة من المحيط الأطلسي إلى جانب الغابات المحيطة بتادمكة وبأودغست التي وصف البكري المنطقة المطلة على مدينتها بقوله (وفيها أشجار الصمغ الذي يجلب إلى الأندلس يصمغ بها الديباج)[6]..

ومثل العنبر هو الآخر إحدى أهم المواد التي عرفت بلاد الملثمين بإنتاجها وتصديرها، حيث تذكرت المصادر العربية الوسيطة كثرته في الشواطئ الأطلسية للبلاد[7]، وبما مثلت جزيرة أيوني القريبة من مملحة آوليل (والتي عرفت بجزيرة العنبر[8]) أهم مركز لجمع العنبر وتصديره إلى المغرب والأندلس لحاجة عدد من الصناعات إليه أبرزها صناعة العطور والشموع والصابون والصيدلة والطب[9]. فيما اشتهرت مدينة أودغست أيضا كمركز رئيسي لجمع وتصدير العنبر حيث يذكر الإدريسي أكثر من مرة، من ذلك قوله عن أودغست في موضع (يجلب منها العنبر المخلوق... والذهب الإبريز الخالص)[10]"، وتأكيده لهذا المعطى في موضع ثان بقوله (... ويجلب منها العنبر المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم)[11]،..حيث نفهم من العبارة الأخيرة أن العنبر كان يشحن عبر الشبكة الطرقية من المنطقة المحاذية للمحيط الأطلسي وغيرها من مناطق الصحراء إلى أودغست لتنقيته وتعبئته قبل تصديره إلى الشمال في كميات كبيرة[12]عن طريق القوافل، من خلال محورين: محور أول مرتبط بالطريق الساحلي الذي كان يربط أودغست بنون لمطة عبر آوليل[13]، ومحور ثاني مرتبط بالطريق المباشر بين أودغست وسجلماسة [14].

[1] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص 282

[2] – نفس الصفحة

[3] –MAUNY, Tableau géographique, op.cit, p37

[4] – البكري، المغرب، ص 158

[5] – البكري، المغرب، ص 158

[6] – نفس الصفحة

[7]– نفس المرجع، ص 159

[8] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص38

[9] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص182

[10] – البكري، المغرب، ص159

[11]– نفس الصفحة

[12] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص182

[13] –MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p. 428

[14]– البكري، المغرب، ص 159

كما اشتهرت صحراء الملثمين بإنتاج مجموعة متنوعة من الحجارة الكريمة وشبه الكريمة، والتي كانت تشهد إقبالا على اقتنائها في الصحراء والسودان لاستخدامها في الزينة ولخواصها الروحية كرقى ضد سوء الحظ وكتعويذة طاردة للأرواح الشريرة وبما كان يقابله التجار بالمغالاة في أثمانها[1]. وفي هذا الإطار جرى استغلال الملثمين لحجر يكثر وجوده قرب تادمكه يسمى(الخلقدونية)[2]. في حين كانت تكثر بالمجابة الثانية من الصحراء حجارة بألوان مختلفة تسوق إلى غانة لتحصيل أعلى الأثمان منها[3]، حيث يصف البكري تلك المجابة بأنها (معدن لحجارة تسمى "تاسي النسمت"، وهي حجارة تشبه العقيق، ..، وربما وجد فيها النادر الحجر الجليل الكبير، فإذا وصل به إلى أهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه الرغائب، وهو أجل عندهم من كل علق يقتنى)[4].

في حين عرفت أودغست بأنها سوق لاستيراد وتصدير وبيع الحلي. وفي هذا الإطار كان يتم إلى جانب الإنتاج المحلي من الحجارة الكريمة استيراد تجار المدينة لأنواع وكميات من الحجارة الكريمة من كل من المغرب ومصر، يباع جزء منها في السوق المحلي فيما يتم توجيه بعضها الآخر إلى بلاد السودان التي كانت تستوعب كميات كبيرة من الحجارة الكريمة بسبب الطلب الكبير عليها هناك، وحيث تلقى رواجا منقطع النظير بحسب المصادر الوسيطة التي تذكر أن المسافر لتلك البلاد كان (لا يحمل زاداً ولا أداماً ولا ديناراً ولا درهماً إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي ويقوم التجار بشراء المواد الغذائية من نساء القرى مقابل هذه السلع) [5].

كما يظل من أهم المواد المنتجة من قبل الملثمين بهدف التصدير أوراق الحناء، والتي استفاد أهل أودغست من منطقتهم الحارة في زراعتها[6]، في معطى جعلها تشتهر من بين جميع مدن الصحراء في الفترة الوسيطة بوفرة أشجار الحناء وبلوغها فيها مستويات قياسية في الكثرة والضخامة والطول، وهي معطيات يؤكدها لنا البكري بقوله (وبها جنان حناء لها غلةٌ كبيرة) [7]، ليذكر لنا في موضع آخر ما وصلت إليه أشجار الحناء بأودغست من ضخامة بقوله (وأشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون)[8].

[1] – البكري، المسالك والممالك، ج2، ص34

[2] - DEVISSE. Jean. et autres. (1970). TEGDAOUST I ،Recherches sur Awdaghost ،A.M.G ،Paris, p . 119

[3] – البكري، المسالك والممالك ص 182

[4] – نفس الصفحة

[5] – ابن بطوطة، تحفة النظار، صص86-87

[6] – بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988، ص135

[7] – البكري، المغرب، ص158

[8] – نفس المرجع، ص168

ويظهر اهتمام سكان أَوْدَغَسْت الخاص بزراعة شجر الحناء للتصدير إلى الحد الذي جعلها تتحول إلى المركز الرئيسي والموطن الأصلي لزراعتها في بلاد السودان الغربي، في مقابل جعل غلتها أهم منتج زراعي للمدينة وفي مقدمة السلع التي اهتم تجار أَوْدَغَسْت ببيعها في أسواقها وتداولها مع المدن السودانية والمغربية. [1] .

وقد اشتهرت صحراء الملثمين في العصر الوسيط بوفرة مادة الجلود لديها وبتصدير أنواع منها بعضها لم يكن يوجد بغيرها[2] حيث يتعلق الأمر بجلد حيوان بري اسمه (اللمط)[3] هو من حيث القدر (دون البقر)[4] ، وذلك إلى جانب تصدير الصحراء لعينات أخرى من الجلود أبرزها الجلود الزوميمة التي كانت تلقى رواجا كبيرا في الصحراء وخارجها[5]، والجلود لغدامسية المشهورة التي يكثر عليها الطلب خارج الصحراء، وجلود الفنك[6] وجلود الضأن[7]التي تبقى لا قل أهمية في التبادل التجاري عن جلود اللمط[8] بتصديرها إلى بلدان كثيرة[9] ، فيما توفر مدن الصحراء على ورشات متخصصة لدباغة الجلود كما هو الحال بالنسبة لأودغست[10] ولتصنيع الفراء الفاخر منها[11]. أوالملابس كما في غدامس، أو لتحويلها إلى دروع كما هي الحال بالنسبة لآزوكي[12] والتي كانت من أهم منتجات الصحراء وأغلاها ثمنا[13].

ب – دورها في تصريف المنتجات الخارجية

لعبت الطرق الصحراوية الداخلية دورا مهما في جلب وتصريف المواد والسلع المستوردة والتي توزعت بين نوعيات كثيرة شملت المعادن، والمنتجات الحيوانية والنباتية والملابس والرقيق والكتب والحلي والعطور وغير ذلك.

[1] – عبد النظير، نبيلة، الأوضاع الحضارية والسياسية لمدينة أودغست، جامعة جنوب الوادي، قنا، مصر، 2010، ص 149

[2] – القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت. 1969، ص58

[3] – نفس الصفحة

[4] – البكري، المغرب، ص 171

[5] – اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1957، ص345

[6] – البكري، المغرب، ص 171

[7] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص184

[8] -MAUNY, MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p. 380

[9] – ابن الحشاء، أحمد بن محمد أبو جعفر، مفيد العلوم ومبيد الهموم، تحقيق: جورج كولان وآخرون، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص103

[10] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص127

[11] – ابن الحشاء، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص103

[12] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 121

[13]– البكري، المغرب، ص 171

فلرواج النحاس وارتفاع الطلب عليه في الصحراء وبلاد السوادن[1]، كان تجار المغرب الأقصى المتجهين إلى الصحراء وبلاد التكرور يحرصون على جلب النحاس معهم لمبادلته أساسا بالذهب والرقيق[2]. وبما جعله بين ثلاث مواد كان يكثر عليها الطلب هناك هي الصوف والنحاس والخزر[3]. حيث يذكر البكري في هذا المقام أن المتجه إلى الصحراء من التجار كان يتجهز إليها بالنحاس المصنوع[4]. حيث كان يتم تصريف المجلوب منه عبر شبكة الطرق الداخلية بين المراكز الصحراوية الحضرية ومناطق انتشار القبائل الممتهنة للرعي[5] خصوصا الأواني المصنعة من المعدن الأصفر في فاس[6]، فيما كان يصنع في أودغست على شكل مسامير نحاسية تصدر إلى غانة حيث تستعمل هناك كعملة لتسهيل المبادلات فيها[7]. كما كان يتم تصريف المستورد من الفضة التي كان الطلب عليها في الصحراء لأهميتها لدى نسائها اللاتي كن يفضلن الحلى الفضية المصنوعة منه على الحلى الذهبية[8]، وكذا للاعتماد عليها في أودغست في بعض الصناعات خلال القرن 11 م[9].

في حين يظل من بين المنتجات التي كان الطلب عليها كبيرا في مختلف المناطق الصحراوية خلال الفترة الوسيطة منتجات نباتية عديدة نذكر منها الزبيب، الذي كان يصرف في الصحراء عبر شبكة الطرق الداخلية بعد جلبه من مناطق انتاجه في سجلماسه[10] وقلعة حماد، وقفصه [11]، ومراكش[12].

و تفيد المصادر الوسيطة أن زراعة القمح على نطاق ضيق في أودغست وبعض الواحات لم تكن كافية لسد حاجة سكان صحراء الملثمين من هذه المادة، وبما لجئ لتعويض النقص الحاصل بسببه، إلى استجلاب القمح من الشمال الإفريقي بصورة رئيسية، الأمر الذي جعل القمح يشكل الجزء الأكبر من أحمال القوافل التجارية المتجهة من المغرب إلى الصحراء[13]. إلى

[1] - EL Alawi, Abdel Aziz. (1983) . LE MAGHRIB ET LE COMMERCE TRANSSAHARIEN (milieu du XIè-milieu du XIVè s) contribution l'histoire Economique ،Sociale et Politique du Maroc médiéval . thèse en vue du doctorat de 3è cycle. UNIVERSITE DE BORDEAU III. France, 1983, p. 73

[2] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص120

[3] – نفس الصفحة

[4] – البكري، المغرب، ص159 – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص19

[5] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص84 و ص87

[6] - MAUNY, MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p 374

[7] - KI-ZERBO, Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain. Hatier. Paris, t3, p451

[8] – ولد الحسين، صحراء الملثمين، ص177

[9] - KI-ZERBO, Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain, t3, p.449

[10] – الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217/ والقزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص42

[11] – الحموي، معجم البلدان، ج 4، صص434 – 443

[12] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص42/ وابن سعيد، الجغرافيا، ص125

[13] – يحي، بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية" بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافة،ع59، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص21

جانب منتجات أخرى عديدة تضم بعض الخضر الجافة، والزيتون، والشحوم، والزبدة[1] والتين المجفف الذي كانت له قيمة خاصة تدفع التجار لجمعه من مختلف أسواق المغرب بهدف جلب كميات منه للصحراء تناسب الطلب المرتفع عليه فيها[2]. في حين وجدت منتجات خشبية تصدرها مناطق مختلفة أبرزها المغرب والأندلس ومصر إلى الصحراء، شملت بشكل أساسي خشب الصنوبر وخشب الأرز المجلوب من تلمسان[3] عبر سجلماسة[4]، مع كميات معتبرة من أقتاب البعران التي تصنع من خشب الصنوبر في مدينة نون لمطه[5] وتدر أرباحا كبيرة على التجار بسبب غلاء أسعارها[6].

كما يعتبر من بين أهم السلع التي تصرف في الصحراء عن طريق شبكتها الداخلية خلال الحقبة الوسيطة البغال[7] والجياد الأصيلة من المغرب الأقصى، والتي اختص بشرائها الملوك وحاشيتهم وأهل الثراء[8]، نتيجة غلاء أسعارها إلى الحد الذي وصل معه سعر الحصان مائة مثقال[9]، وذلك بسبب قلتها محليا لعدم ملائمة المناخ الصحراوي لتربيتها في أعداد كبيرة[10].

إلى جانب الأقمشة التي أصبحت الأقمشة بمختلف أنواعها – مع إقبال الملثمين على اللباس –من أهم السلع الرائجة في الصحراء لعدم قدرة صناعة النسيج بها على سد حاجة الأسواق المحلية منها[11]، الأمر الذي كان وراء استيرادهم لكميات كبيرة ومتنوعة من الأقمشة خاصة الملابس الصوفية والقطنية[12]. حيث كان على التاجر المتجه إلى أودغست بحسب البكري أن يتجهز إليها بثياب مصبغة بالحمرة والزرقة لأهميتها عند أهلها[13]، فيما اعتبر الادريسي من بين أهم ما يتجهز به للصحراء وبلاد التكرور الأقمشة الصوفية[14].مقابل ملاحظة ابن بطوطة برواج الثياب المصرية حيث ذكر إن أغلب ثياب أهل ولاتة عند زيارتها لها مجلوبة من مصر حيث نعتها قائلا (معظم ثياب أهلها حسان مصرية)[15].

---

[1] – نفس الصفحة

[2] – عبد القادر، زبادية، الحضارة العرب بة والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزا ئر، 1989م، ص 35

[3] – ابن سعيد، الجغرافيا، ص 140

[4] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 19

[5] – مفردها قتب وهو من الرحل ما استدار على بطن البعير. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص118/ ومصطفى،1989، ص714

[6] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 57

[7] – يحي، طرق القوافل والأسواق التجارية" بالصحراء الكبرى، ص21

[8] – الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983، صص167- 166، والدالي، المبروك. التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من مطلع القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، 1999، ص333

[9] – ابن بطوطة، تحفة النظار، ص691، وص699

[10] -MAUNY, MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p. 37

[11] – الوزان، وصف إفريقيا، ص97

[12]– البكري، المسالك والممالك، ج2، ص158

[13] – البكري، المسالك والممالك، ج2، ص850

[14] – الإدريسي، نزهة المشتاق، صص 145- 146

[15] – ابن بطوطة، تحفة النظار، ص.392

كما تذكر المصادر الوسيطة اتساع استيراد الحلي وتصريفها في مجمل مناطق الصحراء لإقبال النساء الصحراويات على اتخاذ الزينة من عدد من المواد يجلبها التجار لها من مناطق متفرقة في المغرب ومصر، أبرزها الفضة والذهب[1] والأحجار الكريمة والتي منها حجر يدعى الخلقيدونية الذي سماه البكري تاسنمست[2]، والخرز الزجاجي أحادي اللون[3]، حيث يحدثنا ابن سعيد في هذا الإطار أن مناطق منها نفزواة والإسكندرية كانت تقوم بتصدير مادة الزجاج إلى سكان الصحراء [4] إلى جانب ما يجلب لها من العقيق الصرف من أعالي مصر، ومن المازونيت من تيبستي وفزان، ومن حجر البفش – وهو نوع من الحجارة الصوانية لونه أحمر رماني – من جنوب المغرب[5]. فيما تتنوع الحلي المجلوبة إليها من سلجماسة ومناطق أخرى للصحراء لتشمل خرز الزجاج والأسورة والخواتيم منه، والحلق النحاسية.[6] ومختلف الحلي الفضية والنحاسية والذهبية[7]، والأحجار الكريمة الملونة والنادرة القادمة من فزان[8]، حيث يظهر أن الهدف من جلب التجار لكل هذه الأنواع من الحلي إلى مراكز الصحراء – ومن ورائها بلاد السودان أحيانا – كان بهدف العودة منهما بمادتي التبر والرقيق[9].

ومن المواد الهامة كان يكثر عليه الطلب في المراكز الصحراوية وتصلها عبر الشبكة الطرقية الداخلية العقاقير خصوصا منها تلك المستخدمة في علاج بعض الأمراض الشائعة في الصحراء من قبيل الحميات والقيئ والإسهال والبلغم وغيرها[10]، وذلك إلى جانب الأدوية العشبية التي تستخدم في العلاج والحماية من مضاعفات بعض الأمراض[11].

وكانت الشبكة الطرقية تعمل بكفاءة لتصريف كلما يصل إليها مجلوبا من بلاد السودان من مواد مطلوبة في مناطق تواجد الملثمين في المناطق الحضرية ومواطن الانتجاع الرئيسية، وهي المواد التي يبقى أهمها الذهب الذي متوفرا بكميات كبيرة هناك، إلى حد أطلق معه كتاب الفترة الوسيطة على منطقة من السودان (أرض التبر) ، حيث كانت تخصص الكميات المتوفر عليها منه في صناعة الحلي، فيما يخصص أغلبها للتصدير حيث تستفيد منه صناعة السكة في عدد من المناطق من بينها المغرب ومصر وأوروبا.

ويعتبر الرقيق من أهم السلع المسوقة من بلاد السودان إلى مراكز صحراء الملثمين عبر الشبكة الطرقية الداخلية وذلك للحاجة إليه في كثير من الأمور والمتطلبات، حيث تذكر المصادر وجود قاعدة كبيرة من الرقيق بالصحراء خلال الفترة الوسيطة تم

[1] – عبد القادر، الحضارة العرب ية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ص36

[2] - KI-ZERBO, Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain, t3, p.449

[3] – دوبلال، وبلبالي، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، ص26

[4] – ابن سعيد، الجغرافيا، ص127

[5] - KI-ZERBO, Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain, t3, p.449

[6] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 19

[7] – عبد القادر، الحضارة العرب ية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ص36

[8] – الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من مطلع القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ص 322

[9] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 33

[10] - MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p, p. 37

[11] – يحي، طرق القوافل والأسواق التجارية" بالصحراء الكبرى، ص21

جلبها من عدة مناطق من السودان أهمها بلاد غانة وبلاد التكرور وبلاد لملم[1]، وهي القاعدة التي كانت تستخدم بالأساس في الخدمة المنزلية والأنشطة الاستخراجية والصناعية[2] والرعي والزراعة وجذب المياه من الآبار ذات العمق الطويل، فيما كانت تعد كذلك مظهرا للثراء كما حصل في أودغست التي أورد البكري أنه كان للتاجر من أهلها ألف خادم وأكثر[3].

كما كان من بين السلع السودانية الواصلة إلى المراكز الصحراوية عبر شبكتها الطرقية نعل يمتاز بأنه لا يبتل بالماء حيث يبقى طيب الرائحة، ويرجع كالجديد عندما يغسل بالماء الحار[4]. إلى جانب كميات كبيرة من العسل[5]. المجلوبة بالأساس من بلاد التكرور[6]. وريش وبيض النعام الذين يتميزان بارتفاع أسعارهما في أسواق الصحراء[7]. وعدد من المنتجات النباتية في طليعها الذرة ذات الاستخدام الواسع في النظام الغذائي للملثمين حيث كانت عماد قوت الفئات المتوسطة والفقيرة[8]، إلى جانب منتج الكولا الذي كان إحدى ثلاث سلع تجارية رئيسية تجلب من السودان(هي الذهب والرقيق والكولا) وتلقى رواجا في الصحراء ومناطق البحر المتوسط[9].والفول السوداني[10]، والزيوت النباتية التي يستوردها تجار الصحراء من السودان لتغطية النقص الحاصل في الكمية المستوردة من قبلهم منها من الشمال الإفريقي خاصة مدن إقليم طرابلس[11].

كما كانت من أبرز المنتجات السودانية المرغوبة في الصحراء خلال الفترة الوسيطة مادة العاج لتوقف صناعة الأقداح عليه والمستخدمة في جمع وتخزين وشرب اللبن، واستخدامه في صناعة الحلي للطبقات الميسورة، وفي صناعة مقابض السيوف والسكاكيّن وبعض التحف الثمينة وتزيين الخيل كذلك، في مقابل اعتباره أيضا في منطقة الشمال الإفريقي من الكماليات المرغوب فيها[12]. وبما كانت تتم معه إعادة تصدير كميات من العاج من قبل تجار الصحراء إلى مناطق المغرب الأُقصى وأوربا لتحصيل أرباح من ذلك نظرا للطلب الكبير عليه في المنطقتين[13].

[1] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص19

[2] – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص2

[3] – البكري، المغرب، ص168

[4] – حسين، أحمد الياس. طرق التجارة عبر الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، حسين، دت، ص206

[5] – البكري، المغرب، صص158 – 177

[6] – الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا، ص323

[7] – عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ص39

[8] – البكري، المغرب، ص 158وص177

[9] – ابن بطوطة، تحفة النظار، ص89

[10] – عبد النظير، الأوضاع الحضارية والسياسية لمدينة أودغست، ص54

[11]- MAUNY, MAUNY, Tableau géographique, op.cit,, p, p p. 379-380

[12] – حسين، طرق التجارة عبر الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، ص206

[13] – الدالي، الأوضاع الحضارية والسياسية لمدينة أودغست، ص323

الخلاصة:

يمكن أن نخرج من هذا البحث بمجموعة من الملاحظات والاستنتاجات الرئيسية نورد من بينها:

- تأثير مجموعة من المعطيات والميكانيزمات الخاصة في خلق شبكة طرق داخلية كثيفة بمنطقة صحراء الملثمين خلال الفترة الوسيطة، أهمها محاولة سكانها تعبئة مواردها الطبيعية وتوظيف إمكاناتهم الذاتية لخلق ظروف إنتاج مواد وسلع متنوعة، وبما يدعم ويتكامل مع دور الوسيط التجاري الذي اضطلع به هؤلاء السكان بين مناطق الشمال والشرق والجنوب منهم.

- تم تخطيط شبكة الطرق الداخلية بالأساس بهدف تأمين الربط بين المراكز التجارية النشطة بعضها بالبعض الآخ، فيما تتحكم في رسم مسار وطول كل طريق فرعي بها معطيات أبرزها درجة الأمن ومراعاة مشاكل الأمان ووعورة التضاريس.

- كان تأسيس مركز جديد نشط يتيح فرصة الربط بينه وبين المراكز النشطة المعاصرة له، فيما كان تراجع دور نفس المركز تجاريا يمهد لصرف الأنظار عن متابعة السفر والوصول إليه للاتجار معه وبما يفرض وجود تناسب بين درجة توظيف الطريق الداخلي ودرجة نشاط المركز التجاري الصحراوي.

- يلاحظ قيام الشبكة الداخلية في مجملها بمجموعة من الأدوار التجارية، يبقى في طليعتها اضطلاعها بتصدير منتجاته إلى المراكز الأخرى وما ترتبط به من مراكز تجارية داخلية وداخلية، وتوليها مهام تصريف المنتجات الخارجية التي تصل الصحراء على أوسع نطاق داخليا، وفي بعض الأحيان القيام بإعادة تصديرها إلى جهات خارجية غير التي أنتجتها.

- يظهر اضطلاع الشبكة الداخلية بمجموعة من الوظائف الاقتصادية يظل من أبرزها، توفير الحاجيات من البضائع والسلع للأفراد، توفير المواد الأولية للصناعات، والتسويق الداخلي والخارجي لمنتجات كل مركز تجاري.

- تحكمت عوامل أخرى أبرزها الأمن في درجة توظيف الطريق التجاري بين مركز وآخر، حيث كان يرتفع استخدامه في ظل توفر الأمن على الأنفس والأموال لسالكيه، فيما كان يقل استخدامه أو يستعاض عنه بآخر أكثر أمانا إذا أصبح غير آمن.

- يلاحظ وجود تناسب طردي بين درجة توظيف الطريق في الشبكة الداخلية وبين درجة نشاط المركز التجاري الصحراوي القائمة على ما ينتج من سلع يكون عليها طلب في الداخل والخارج، وعلى توفير ما يحتاجه أهله من مواد وسلع محلية وخارجية..

المراجع:

أ – المصادر:

1- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، د ت

2- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م

3- ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1973

4- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق سماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م

5- ابن الحشاء، أحمد بن محمد أبو جعفر، مفيد العلوم ومبيد الهموم، تحقيق: جورج كولان وآخرون، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941

6- أبو الفداء، عماد الدين محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د ت

7- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودى. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

8- البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002

9 – البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857

10- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج1 ،1977، ج3،

11- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مطابع هيد لبوغ، بيروت، ط2، 1984

12- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، طبعة برجين، 1898

13- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، 2007

14- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت. 1969

15- الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983

16- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى، بيروت، 2005

17- اليعقوبي، أحمد بن احمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1957

18- مجهول، خبر السوق، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2003

19- محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2014

ب – المراجع:

1- أماهين، الشاوي اللاله البكاي، الطوارق عبر العصور، دار الكتب الوطنية، ط1، 2007

2- الدالي، المبروك، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من مطلع القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، 1999

3- الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999

4- بن علي، حليمة، وعبداوي، صفية، "مناجم الملح في الصحراء ودورها في ازدهار تجارة الحواضر"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة أدرار، الجزائر، 2019 – 2020، ص19/

5- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988

6 - جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980

7- حسين، أحمد الياس، طرق التجارة عبر الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، دت

8- دوبلال، محمد، وبلبالي، محمد، مدينة تادمكة ودورها في تاريخ السودان الغربي، من القر1 – 7هـ/ 10 – 17م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة آدرار، 2020 – 2021م

9- زبادية، عبد القادر، مملكة السنغاي في العهدين الأسبقيين 1493 -1593، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971

10- عبد القادر، زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1989م،

11 - عبد النظير، نبيلة، الأوضاع الحضارية والسياسية لمدينة أودغست، جامعة جنوب الوادي، قنا، مصر، 2010

12- فخار، إبراهيم، حولية المؤرخ، دار الكرامة للطباعة والنشر، ع5، جوان2005،

13- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة صلاح الدين عثمان، القاهرة، 1961

14- كركار، عبد القادر، الروابط الاقتصادية بين ضفتي الصحراء الكبرى ودور اليهود في النشاط التجاري أواخر العصر الوسيط، 2016

15- محمد، عطلي، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مجلة العلوم

16- ولد الحسين، الناني، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن ق 2هـ 8م إلى نهاية ق 5 هـ/11م، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007

17- يحيى، بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية" بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، ع59، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980

ج – المراجع الأجنبية:

1– CUOQ. Joseph. Histoire de l’islamisation de l'Afrique de l'Ouest des origines jusqu' la fin du XVIe siècle. Librairie Orientaliste. Paris,1984

2-DELACHAPPELLE. Author. "Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale" in Héspéris Tamuda, TXI, Rabat, 1930.

3-DEVISSE. Jean. et autres. TEGDAOUST I ،Recherches sur Awdaghost ،A.M.G ،Paris, 1970.

4- Fernandes. Valentim. Description de la Cote d'Afrique de Ceuta au Senegal (1506-1507). texte portugais, traduction et notes de Pierre de Cenival et Theodore Monod. Librairie Larose. Paris, 1938.

5- Ki- Zerbo. Histoire de l’Afrique Noire d’hier à demain. Hatier. Paris, 1972.

6-EL ALAWI. Abdel Aziz. LE MAGHRIB ET LE COMMERCE TRANSSAHARIEN (milieu du XIè- milieu du XIVè s) contribution l'histoire Economique ،Sociale et Politique du Maroc médiéval . thèse en vue du doctorat de 3è cycle. UNIVERSITE DE BORDEAU III. France, 1983

7- MAUNY, Raymond, Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen-Âge ،d'après les sources écrites ،la tradition et l'archéologie ،Mémoire de l'IFAN ،N61، Dakar ،1961